دلالة عطف القصص في سورة البقرة في ضوء علم المناسبة

أ.م.د.بشرى غازي علوان

الجامعة العراقية – كلية التربية للبنات– العراق

zvzv0421@gmail.com

المستخلص

تتناول هذه الدراسة مسألة نحوية دلالية، وهي مسألة عطف القصص في سورة البقرة في ضوء علم المناسبة، وتكمن أهمية هذا البحث في بيان أهم الموضوعات التي عطف بعضها على بعض بطريقة هذا العطف الذي تم تعريفه وكيف لم ينتبه إليه النحاة وتنبه إليه بعض المفسرين، مبينة الدلالات التي أشارت إليه؛ فهي جانب من جوانب البلاغة القرآنية في حبك النص القرآني وترابط أجزائه وأفكاره، مبتغية من هذه الدراسة بيان طريقة من طرق فنون القول القرآني.

الكلمات المفتاحية: دلالة، نحو، بلاغة

The Significance of The Conjunction of Stories in Surat Al-Baqarah in The Light of The Science of Occasion

Bushra Gazi Alawan

Iraqi University College of Education for Girls

zvzv0421@gmail.com

Abstract

This study deals with a grammatical and semantic issue, which is the issue of connecting stories in light of the science of appropriateness .The importance of this research lies in clarifying the most important topics that are connected to each other in the manner of this connection that has been defined and how grammarians did not pay attention to it and some commentators did, clarifying the meaning that indicated it; it is an aspect of the Quranic language in weaving the Quranic text and the coherence of its part and ideas, seeking from this study to clarify a method of the methods of the arts of speech.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على نبينا محمد الهادي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد...

نزل القرآن الكريم على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو ذلك الكلام المعجز الذي أعجز أهل البلاغة وصنعة الكلام، بحلاوة أسلوبه، وروعة أفانينه البلاغية، وجمال نسقه، وبيانه الرفيع الذي بلغ المدى وهذا بحث يتناول أسلوبا من أساليب ذلك الكتاب الذي نزل بلسان عربي مبين ..و هو ما أطلق عليه (عطف القصص)،وهذا النوع من العطف لم يرد ذكره صراحة عند النحاة ولكنه ذكر عند المفسرين وأشاروا إليه ونبهوا عليه وهو عطف حاصل مفهوم قضية على حاصل مفهوم قضية أخرى، وهو معني ببيان المناسبات بين المفاهيم المعطوفة بعضها على بعض، وهو يختلف عن فكرة البحث المنشور(التناسب القصصي في سورة البقرة دراسة في هدي علم المناسبة)، اختلافا كاملا لأن البحث المنشور يعنى ببيان المناسبات بين القصص المذكورة في سورة البقرة سواء أكانت معطوفة بعضها على بعض أو غير معطوفة القصص فقط دون غيرها من القضايا . وقد تعرضت فيه إلى مفهوم علم المناسبة وعطف القصص، ثم درسته دراسة مفصلة في سورة البقرة، مبينة دلالة المناسبة لعطف القصص بين آيات سورة البقرة فآيات سور القرآن مترابطة الأجزاء محكمة البناء، وقد تنبه علماؤنا لهذا التناسب للدلالي والترابط بين آيات السورة الواحدة مكونا بناء محكما متكاملا من المعاني وللدلالات للدللة على الإعجاز والبلاغة وهذا ما ذهب إليه الباقلاني بقوله : "بديع النظم عجيب للتأليف متناه في البلاغة إلى الحد للذي يعلم عجز الخلق عنه"[1]، فأهمية هذه الدراسة تكمن في بيان أهم الموضوعات التي عطف بعضها على بعض بطريقة هذا العطف في ضوء علم المناسبة للذي يعد من علوم اللغة العربية وهو يبحث في أسرار ترابط أجزاء القرآن الكريم، مبتغية في ذلك تسليط الضوء على طريقة من طرق القرآن في فنون القول، وجانبا من جولنب البلاغة القرآنية في حبك النص القرآني وترابط أجزائه وأفكاره .

وقد اعتمدت في بحثي هذا على العديد من التفاسير القرآنية التي هدتني للنص القرآني وأهمية القول فيه، وأخصّ بللذكر منهم (تفسير التحرير والتنوير) لابن عاشور و(روح المعاني) للآلوسي، وحسبي أنني بذلت ما بوسعي من جهد غير مقصرة ولا متهاونة، فإن أخطأت فمن نفسي، وإن أصبت فمن الله وعليه التوكل وهو حسبنا ونعم المعين.

[1] إعجاز القرآن /35

التمهيد:

أولا: مفهوم عطف القصص:

ورد في للقرآن للكريم نوع من للعطف، أطلق عليه المفسّرون اسم عطف القصص، والمراد به أن يعطف حاصل كلام، على حاصل كلام قبله، بما فيه من جمل، وأخبار وأحداث. أو عطف حاصل مضمون إحدى الجملتين، على حاصل مضمون الجملة السابقة لها، من غير نظر إلى اللفظ[2] . كما يعرّف بأنّه عطف " مجموع جمل متعدّدة مسوقة لمقصود على مجموع جمل أخرى مسوقة لغرض آخر فيعتبر حينئذ التناسب بين القصتين دون آحاد جملها."[3] فينظر "إلى مضمون الكلام ويقطع النظر عن خواص لفظه في المعطوف والمعطوف عليه ميلا مع المعنى."[4]

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ المفسّرين لم يقتصروا على المواضع الّتي جاء فيها عطف القصص القرآنيّة، بعضها على بعض، ليعدوها من عطف القصص، بل تعدّى ذلك إلى أنّهم حملوا على ذلك العطف، مواضع لم تكن من هذا الباب، فكانت الواو العاطفة فيها، قد ربطت بين موضوعين متكاملين، فعدّوا العطف بهما من قبيل هذا للباب ؛ ممّا يدلّ على أنّ دلالة هذا المصطلح عندهم لم تقتصر على المواضع الّتي وردت فيها الواو عاطفة لقصص القرآن الكريم، الواردة في الآية الولحدة، على بعضها، كما هو مفهوم من ظاهره، بل إنّ مفهومه أوسع من هذا في نظرهم، فهو يشمل فضلاً عن هذا عطف الموضوعات المتكاملة، بعضها على بعض، وعلى هذا يكون معنى القصّة في هذا الباب، هو الأمر أو الشأن[5].

ولعلّ أوّل من ورد عنده مصطلح عطف القصص هو السيد الجرجاني، إذ أشار إلى ذلك ابن عاشور: " وجعل السيد الجرجاني لهذا النوع من العطف لقَبَ عطف القصة على القصة لأن المعطوف ليس جملة على جملة بل طائفة من الجمل على طائفة أخرى."[6]

ونقل عنه قوله: " ولم يذكر صاحب (المفتاح) عطف القصة على القصة فتحير الجامدون على كلامه في هذا المقام وتوهموا أن مراد صاحب (الكشاف) هنا عطف الجملة على الجملة وأن الخبر المتقدم مضمن معنى الطلب أو بالعكس لتتناسب

[2] ينظر: روح المعاني 127/4.

[3] حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي 56/2.

[4] المصدر نفسه 56/2.

[5] ذكر الخليل أنّ القصّة يمكن أن ترد بمعنى الجملة من الكلام، فقال : " في رأسه قِصّة، أي : جملة من الكلام، ونحوه." العين (قصّ) 5 / 10 . ويبدو أنّ هذا هو المعنيّ من مصطلح عطف القصص .

[6] التحرير والتنوير 1/ 350 .

الجملتان مع أن عبارة (الكشاف) صريحة في غير ذلك وقصد السيد من ذلك إبطال فهم فهمه سعد الدين من كلام (الكشاف) وأودعه في شرحه (المطول) على (التخليص). [7]

ثانيا: مفهوم علم المناسبة

أولا: لغة: جاء في مقاييس اللغة " النون، والسين، والياء، كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء منه النسب، سمي لاتصاله، وللاتصال به تقول : نسبت أنسب . وهو نسيب فلان .... والنسيب الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض"[8] فالمراد بالمناسبة في المعجم هو المماثلة والاتصال والمقاربة[9].

ثانيا: اصطلاحا: عرّف علم المناسبة على أنه" علم يعرف منه علل ترتيب أجزائه (آي القرآن) وهو سر البلاغة لأدلئه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، ويتوقف الإجادة على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسيته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو"[10]

وفي هذا الموضع سأتناول هذا النوع من العطف في سورة البقرة، لبيان الرابط الذي يربط القصة المعطوفة على القصة المعطوف عليها؛ لبيان دلالة المناسبة بين القصتين المتعاطفتين، وسأدرس الآيات تباعاً كالآتي:

ـ عطف شأن المنافقين على شأن الكافرين:

ورد هذا العطف في قوله تعالى:

((إنَّ للذينَ كفروا سَواءٌ عليهم ء أنذرتَهم أم لمْ تنذرهُم لا يؤمنُونَ. ختمَ اللهُ على قلوبِهم وعلى سَمعِهم وعلى أبصارِهِم غشوةٌ ولهم عذابٌ عظيمٌ. ومن الناسِ من يقولُ ءآمنا باللهِ وباليومِ الآخرِ وما هم بمؤمنينَ)) [11].

وردت الواو في قوله: (ومن الناس من يقول) عطفت طائفة من الجمل على طائفة أخرى، كلّ منها مسوق لغرض بعينه، فالجمل المعطوفة تسرد حال المنافقين، والجمل المعطوف عليها تبيّن حال الكفار.

وقد بيّن ابن عاشور وجه المناسبة في هذا العطف، قائلاً: "واعلم أن الآيات السابقة لما انتقل فيها من الثناء على القرآن بذكر المهتدين به بنوعيْهم للذين يؤمنون بالغيب وللذين يؤمنون بما أنزل إليك إلى آخر ما تقدم، وانتقل من الثناء عليهم إلى ذكر

[7] المصدر نفسه 351/1.
[8] مقاييس /897.
[9] لسان العرب 129/14، مادة (نسب).
[10] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 11/1.
[11] البقرة /6-8

أضـــدادهم وهم الكافرون للذين أريد بهم الكافرون صـراحةً وهم المشـركون، كان السـامع قد ظن أن للذين أظهروا الإيمان داخلون في قوله : (للذين يؤمنون بالغيب)([12]) ، فلم يكن السـامع سـائلاً عن قسم آخر وهم الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الشرك أو غيرَه وهم المنافقون للذين هم المراد هنا بدليل قوله : (وإذا لقوا للذين آمنوا قالوا آمنا)([13]) الخ، لأنه لغرابته وندرة وصـــفه بحيث لا يخطر بالبال وجوده ناسب أن يذكر أمره للسامعين، ولذلك جاء بهذه الجملة معطوفة بالواو إذ ليست الجملة المتقدمة مقتضية لها ولا مثيرة لمدلولها في نفوس السامعين، بخلاف جملة : (إن الذين كفروا سواء عليهم)([14]) تُرك عطفها على التي قبلها لأن ذكر مضمونها بعد المؤمنين كان مترقباً للسامع، فكان السامع كالسائل عنه فجاء الفصل للاستئناف البياني."[15]

ـ عطف البشارة على العقاب:

ورد هذا العطف في قوله تعالى: ((وإنْ كنتم في رَيبٍ مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسـورةٍ من مثله وادعوا شهداءكُم من دونِ اللهِ إنْ كنتم صادقين. فإنْ لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النّارَ التي وقودُها للنّاسُ والحجارة أعدّت للكافرينَ. وبشـر للذين ءامنوا وعملوا الصـلحت أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشبها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون))[16]

فبعد ذكر الكفار وأعمالهم وإيعادهم بالعذاب، ورد ذكر المؤمنين، في سـياق تبشـيرهم بالعذاب، وقد عطف حالهم على حال الكافرين، بحرف العطف للواو، وهو من عطف للقصـص، أي: " أنذر الجازعين وبشر الصابرين."[17]

قال ابن عاشور: "وجعل جملة: (وبشر) معطوفة على مجموع الجمل المسوقة لبيان وصف عقاب الكافرين يعني جميع للذي فصل في قوله تعالى: ((وإن كنتم في ريب)) ([18]) إلى قوله: ((أُعدت للكافرين))[19]، فعَطف مجموع أخبار عن ثواب المؤمنين على مجموع أخبار عن عقاب الكافرين والمناسبة واضحة مسوغة لعطف المجموع على المجموع، وليس هو عطفاً لجملة معينة على جملة معينة للذي يطلب معه التناسب بين الجملتين في الخبرية والإنشائية، ونظّره بقولك: زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمراً بالعفو والإطلاق."[20]

---

[12] البقرة /3

[13] البقرة /14

[14] البقرة /6.

[15] التحرير والتنوير 1/ 259 .

[16] البقرة /23-25.

[17] حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي 2/ 258.

[18] البقرة /23.

[19] البقرة /24.

[20] التحرير والتنوير 1/ 350.

وجوّز الزمخشريّ أن تكون جملة (وبشّر) معطوفة على جملة جواب الشرط (فاتقوا الله)، فيكون له حكم الجواب، فالشرط (فإن لم تفعلوا) سبب لمضمونهما؛ لأنّهم إذا عجزوا عن المعارضة، ظهر صدق النبيّ، فحقّ اتقاء النار، وهو إنذار لمن دام على كفره، وحقّت البشارة للمؤمنين [21]. وقال ابن عاشور مضيفاً: " وإنما كان المعطوف على الجواب مخالفاً له لأن الآية سيقت مساق خطاب للكافرين على لسان النبيء فلما أريد ترتب الإنذار لهم والبشارة للمؤمنين جعل الجواب خطاباً لهم مباشرة لأنهم المبتدأ بخطابهم وخطاباً للنبيء ليخاطب المؤمنين إذ ليس للمؤمنين ذكر في هذا الخطاب فلم يكن طريق لخطابهم إلا الإرسال إليهم. وقد استضعف هذا الوجه بأن علماء النحو قرروا امتناع عطف أمر مخاطب على أمر مخاطب إلا إذا اقترن بالنداء نحو قم يا زيدُ واكتب يا عمرو، وهذا لا نداء فيه."[22]

ـــــ عطف قصة خلق آدم على ما دلّ على قدرته (عزّ وجلّ):

ورد هذا العطف في قوله تعالى:

((كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحيكم ثم إليه ترجعون. هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسوهن سبع سموات. وهو بكل شيء عليم. وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون)). [23]

جاءت الواو في قوله تعالى: ((وإذ قال ربك ...)) عاطفة لمضمون ما بعدها على مضمون ما قبلها، وهي داخلة على الظرف (إذ) المضاف إلى الجملة التي تضمنت خطاب الله تعالى للملائكة، " وهو مبدأ العبرة وما تضمنته من تشريف آدم وتعليمه بعد الامتنان بإيجاد أصل نوع للناس للذي هو مناط العبرة من قوله: ((كيف تكفرون))[24].

وقد بين ابن عاشور الوجه في كون هذا العطف من قبيل عطف القصص بقوله: " أو أن يكون عطف القصة على القصة ويؤيده أنها تبتدأ بها القصص العجيبة للدلالة على قدرة الله تعالى، ألا ترى أنها ذكرت أيضاً في قوله تعالى: ((وإذْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم (ولم تذكر فيما بينهما وتكون (إذْ) اسم زمان مفعولاً به بتقدير اذكر، ونظيره كثير في القرآن، والمقصود من تعليق الذكر والقصة بالزمان إنما هو ما حصل في ذلك الزمان من الأحوال. وتخصيص اسم الزمان دون اسم المكان لأن الناس

[21] ينظر: المصدر نفسه 1/ 351.
[22] التحرير والتنوير 1/ 351ـ 352.
[23] البقرة /28-30.
[24] البقرة /28.

تعارفوا إسناد الحوادث التاريخية والقصص إلى أزمان وقوعها."[25]

عطف قصة امتناع إبليس من الامتثال لأمر ربه في السجود لآدم على قصة خلق آدم:

ورد هذا العطف في قوله تعالى:

((وعلم ءادم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يادم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين)) [26].

فالواو في قوله تعالى: ((وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)) عاطفة لمضمون ما بعدها على مضمون ما قبلها، وتنبّه الطبريّ لهذا العطف، فذكره في تفسيره شارحاً معناه، من دون أن يطلق عليه مصطلح عطف القصص، إذ قال: " لمّا قوله:(وإذ قلنا)، فمعطوف على قوله:((وإذ قال ربّك للملائكة))، كأنه قال جل ذكره لليهود – الذين كانوا بين ظهرانَيْ مُهاجَرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل، معدداً عليهم نعَمه، ومذكِّرهم آلاءه، على نحو الذي وصفنا فيما مضى قبل–: اذكروا فعلي بكم إذ أنعمت عليكم. فخلقت لكم ما في الأرض جميعًا، وإذ قلت للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، فكرمت أباكم آدمَ بما آتيته من عِلمي وفضْلي وكرَامتي، وإذْ أسجدت له ملائكتي فسجدوا له. ثم استثنى من جميعهم إبليس، فدلّ باستثنائه إياه منهم على أنه منهم، وأنه ممن قد أمِر بالسجود معهم."([27])

وقد ذكر أبو السعود أنّ هذا العطف من قبيل عطف القصص، فقال: "(وَإِذْ قُلْنَا للملائكة) عطفٌ على الظرف الأول منصوبٌ بما نصبه من المضمر أو بناصب مستقلٍ معطوفٍ على ناصبه عطفَ القصة على القصة أي واذكر وقتَ قولِنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلامُ أي أطاعوا وقت قولِنا."([28])

قال ابن عاشور: هي " عطف على جملة " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ((البقرة: 30) عطفَ القصة على القصة. وإعادة (إذ) بعد حرف العطف المغني عن إعادة ظرفه تنبيهٌ على أن الجملة مقصودة بذاتها لأنها متميزة بهذه القصة العجيبة فجاءت على أسلوب يؤذن بالاستقلال والاهتمام، ولأجل هذه المراعاة لم يؤت بهذه القصة

[25] التحرير والتنوير 1/ 397.

[26] البقرة /30–43.

[27] جامع البيان 1/ 502ــ 503.

[28] إرشاد العقل السليم 1/ 87.

معطوفة بفاء التفريع فيقول: فقلنا للملائكة اسجدوا لآدم."[29]

وقد جاء أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام وامتناع إبليس من السجود له عاصياً ربّه، بعد الجمل التي سيقت فيها قصة خلق آدم، وهما تشتركان في كونهما إنعاماً عامّاً على البشريّة، وهو وجه المناسبة في هذا الترتيب، وقد بيّن هذا الإنعام الرازي في قوله:"اعلم أن هذه الآية دللة على كيفية خلقه آدم عليه السلام وعلى كيفية تعظيم الله تعالى إياه فيكون ذلك إنعاما عاما على جميع بني آدم فيكون هذا هو النعمة الثالثة من تلك النعم العلمة التي أوردها في هذا الموضع."[30]

وقال ابن عاشور، مبيناً علاقة مجموع الجمل المعطوفة علة مجموع الجمل المعطوف عليها: "وإن كان مضمونها في الواقع متفرعاً على مضمون التي قبلها فإن أمرهم بالسجود لآدم ما كان إلا لأجل ظهور مزيته عليهم إذ علم ما لم يعلموه، وذلك ما اقتضاه ترتيب ذكر هذه القصص بعضها بعد بعض لبتداء من خلق السماوات والأرض وما طرأ بعده من أطوار أصول العامرين الأرض وما بينها وبين السماء، فإنْ الأصل في الكلام أن يكون ترتيب نظمه جارياً على ترتيب حصول مدلولاته في الخارج ما لم تُنصب قرينة على مخالفة ذلك ."([31])

عطف القصص في آيات الأحكام:

وقد ورد هذا العطف في آيات الأحكام في سورة البقرة، في مواضع منها:

قوله تعالى: ((والوالداتُ يرضعنَ أولدَهُنَ حَولَينِ كاملينِ لِمن أرادَ أنْ يتمَ الرضاعة وعلى المولودِ لَهُ رزقهُن وكسوتَهُن بالمعروف لا تكلّف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما ءاتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعلمون بصير. والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير))([32]) .

جاء هذا العطف بالواو للداخلة في قوله تعالى : ((وللذين يتوفون...))،قال ابن عاشور في الجمل المعطوفة على مجموع الجمل السابقة لها : " انتقال إلى بيان عدة الوفاة بعد الكلام عن عدة طلاق وما اتصل بذلك من أحكام الإرضاع عقب الطلاق، تقصيا لما به إصلاح أحوال العائلات، فهو عطف

[29] ينظر: التحرير والتنوير 397/1.
[30] مفاتيح الغيب 2/ 383.
[31] التحرير والتنوير 1/ 420.
[32] البقرة / 233-234.

قصة على قصة ."([33]) فالمسألتان تتعلقان بأمر فراق، وما يترتب عليه من أحكام، الأول فراق الطلاق، وذكر ما يترتب عليه من أحكام، والثاني فراق الموت وأحكامه، والمسألتان تتعلقان بشؤون الأسرة، وذكر الأحكام التي تتقصى الصلاح للأسر. قال القرطبي: "قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ) لما ذكر عز وجل عدة الطلاق واتصل بذكرها ذكر الإرضاع، ذكر عدة الوفاة أيضا ؛ لئلا يتوهم أن عدة الوفاة مثل عدة الطلاق."[34]

عطف إنزال الآيات البينات وكفر الفاسقين بها على حكم من عادى الله تعالى وملائكته:

ورد هذا العطف في قوله تعالى:

((قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين. من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين. ولقد أنزلنا إليك ءايت بينت وما يكفر بها إلا الفسقون)) [35].

ذكر الآلوسيّ أنّ قوله تعالى: (ولقد أنزلنا إليك) معطوف على قوله: (من كان عدواً)، والعطف من قبيل عطف القصّة على القصّة ([36]). وقد بيّن غاية هذا العطف بقوله: إنّه "لذكر كفرهم بالقرآن فهو من أحوالهم."[37] فقد جاء عطف مضمون هذه الجملة على مضمون الجملة السابقة لها لبيان أنّ من كانت ذا عداوة لله وملائكته ورسله، من شأنه الكفر بما أنزله تعالى من آيات بيّنات على نبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم). فالعلاقة وثيقة بين عداوة الملائكة وبين الكفر بآياته تعالى، فالمناسبة بينة بين القصتين المتعاطفتين.

عطف نبذ فريق من اليهود كتاب الله تعالى على نبذ فريق منهم عهودهم:

ورد هذا العطف في قوله تعالى:

((أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون. ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون)) [38].

فقد عرف اليهود بنقض عهودهم مع النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فـ"كم عاهدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يفوا."([39]) هذا المعنى ورد بعده معنى آخر، ارتبط به بالواو العاطفة، وهو مجيء النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مقرّاً بنبوة موسى (عليه السلام) وبالتوراة، تصديقاً بالبشارة التي بشرت بمقدمه (عليه الصلاة والسلام) [40].

---

[33] التحرير والتنوير 2 / 441 .
[34] الجامع لأحكام القرآن 3/ 173
[35] البقرة /97-99.
[36] ينظر: روح المعاني 1/ 335
[37] التحرير والتنوير 1/ 624
[38] البقرة /100-101
[39] الكشاف 1/ 197
[40] ينظر: مفاتيح الغيب 3/ 616

فكفرهم به (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هو كفر بالتوراة " فيما يصدّقه ونبذ لما فيها من وجوب الإيمان بالرسل المؤيدين بالآيات." [41]

وذكر ابن عاشور أنّ العطف في (ولمّا جاءهم رسول...) هو عطف على قوله تعالى: (أوكلّما عاهدوا عهداً....)، وهو " عطف القصة على القصة لغرابة هاته الشؤون. والرسول هو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لقوله: (مصدق لما معهم). والنبذ طرح الشيء من اليد فهو يقتضي سبق الأخذ. وكتاب الله ظاهر في أنه المراد به القرآن؛ لأنه الأتم في نسبته إلى الله .فالنبذ على هذا مراد به تركه بعد سماعه فنزل السماع منزلة الأخذ ونزل الكفر به بعد سماعه منزلة النبذ."[42]

ووجه المناسبة بين المعنيين المتعاطفين أنّ ما جاء في المعطوف هو مظهر من مظاهر نبذ العهود الذي ورد معناه في الكلام المعطوف عليه، قال سيد قطب في تفسير الآية المعطوفة: "كان هذا مظهراً من مظاهر نقض فريق لكل عهد يعاهدونه. فلقد كان ضمن الميثاق الذي أخذه الله عليهم، أن يؤمنوا بكل رسول يبعثه، وأن ينصروه ويحترموه. فلما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم، خاسوا بذلك العهد، ونبذ فريق من للذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم، يستوي في هذا النبذ كتاب الله الذي معهم، والذي يتضمن البشرى بهذا النبي وقد نبذوه، والكتاب الجديد مع النبي الجديد وقد نبذوه أيضاً."[43]

عطف قصة إبراهيم (عليه السلام) وجعله إماماً للناس على أمر بني إسرائيل بذكر نعمته تعالى وبتقوى يوم الحساب:

ورد هذا العطف في قوله تعالى:

((واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون. وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين)) [44].

الواو للداخلة على (إذ) في قوله (عزّ وجلّ) في قوله عزّ وجلّ: (وإذ ابتلى إبراهيم ربُّه) للعطف، عطفت (إذ) وما بعدها، على ما قبلها، عطف القصّة على القصّة ([45]). أي أنّها عطفت قصّة إبراهيم، وابتلائه بكلمات، وإتمامهنّ عليه، وقوله ــ عزّ وجلّ ــ له بأنّه جاعله إماماً للناس، ودعائه لذرّيّته، ونفي نيل العهد من قبله ــ تعالى ــ عن الظالمين، كلّ هذه المعاني، معطوفة على ما تعلّق بالخطاب الموجّه إلى بني إسرائيل، في الآيتين السابقتين لهذه

41 السراج المنير 1/ 80.

42 التحرير والتنوير 625

43 في ظلال القرآن 1/ 94ــ 95

44 البقرة /122-124.

45 ينظر: إرشاد العقل السليم 1/ 155.

الآية، المتضـــمّن أمرهم بذكر نعمته تعالى عليهم، وأمرهم باتقاء يوم الحساب. وقد بين الألوسي وجه المناسبة بين القصتين المتعاطفتين، بقوله: " والجامع الإتحاد في المقصـــد فإن المقصـــد من تذكيرهم وتخويفهم تحريضـــهم على قبول دينه وإتباع الحق وترك التعصـب وحب الرياسـة كذلك المقصـد من قصة إبراهيم عليه السلام وشرح أحواله الدعوة إلى ملة الإسلام وترك التعصب في الدين وذلك لأنه إذا علم أنه نال الإمامة بالانقياد لحكمه تعالى ولأنه لم يستجب دعاءه في الظالمين وأن الكعبة كانت مطافا ومعبدا في وقته مأمورا هو بتطهيره ولأنه كان يحج البيت داعيا مبتهلا كما هو في دين النبي صـلى الله تعالى عليه وسلم وأن نبينا عليه الصلاة و السلام من دعوته ولأنه دعا في حق نفســـه وذريته بملة الإسلام كان الواجب على من يعترف بفضله وأنه من أولاده ويزعم إتباع ملته ويباهي بأنه من ساكن حرمه وحامي بيته أن يكون حاله مثل ذلك وذهب عصـــام الملة والدين إلى جواز العطف على نعمتي أي أذكروا وقت ابتلاء إبراهيم فإن فيه ما ينفعكم ويرد اعتقادكم الفاسد أن آباءكم شفعاؤكم يوم القيامة لأنه لم يقبل دعاء إبراهيم في الظلمة ويدفع عنكم حب الرياسة المانع عن متابعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فأنه يعلم منه أنه لا ينال الرياسة الظالمين."([46])

الخاتمة:

بعد انتهاء صفحات هذا البحث يمكن التوصل إلى نتائج، ألخصها بما يأتي:

1 ـــ ورد في القرآن الكريم نوع من العطف، أطلق عليه المفسّرون اسم عطف القصص، والمراد به أن يعطف حاصل كلام، على حاصل كلام قبله، بما فيه من جمل، وأخبار وأحداث. أو عطف حاصـــل مضـمون إحدى الجملتين، على حاصل مضـمون الجملة السابقة لها، من غير نظر إلى اللفظ.

2 ـــ إنّ المفسّرين لم يقتصروا على المواضع الّتي جاء فيها عطف القصـــص القرآنيّة، بعضـــها على بعض، ليعدوها من عطف القصـص، بل تعدّى ذلك إلى أنّهم حملوا على ذلك العطف، مواضـــع لم تكن من هذا الباب، فكانت الواو العاطفة فيها، قد ربطت بين موضـــوعين متكاملين، فعدّوا العطف بهما من قبيل هذا الباب ؛ ممّا يدلّ على أنّ دلالة هذا المصطلح ـــ عندهم ـــ لم تقتصر على المواضع الّتي وردت فيها الواو عاطفة لقصـــص القرآن الكريم، الواردة في الآية الواحدة، على بعضها، كما هو مفهوم من ظاهره، بل إنّ مفهومه أوسع من هذا في نظرهم، فهو يشمل ـــ فضلاً عن هذا ـــ عطف الموضوعات المتكاملة، بعضها على بعض، وعلى

[46] روح المعاني 1/ 373

هذا يكون معنى القصّــة في هذا الباب، هو الأمر أو الشأن .

3 ـــ ورد هذا العطف في مواضع عديدة في سورة البقرة، فعطف حاصل كلام على حاصل كلام سابق له، يناسبه في المعنى. ومن هذه المعاني التي عطف بعضها على بعض، عطف شأن المنافقين على شأن الكافرين، فالكافرون ظهر أمر كفرهم، والمنافقون منهم، ولكن أمر كفرهم باطن.

4 ـــ ومن أنواع التناسب الوارد في هذا النوع من العطف، التضـــاد في مفهوم الكلامين المتعاطفين، كعطف مفهوم البشارة على مفهوم العذاب.

وأخيرا أسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

المصادر والمراجع:

[1]. القرآن الكريم

[2]. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود (ت982هـــ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[3]. البرهان في علوم القرآن: الزركشـــي، تح. محمد أبو الفضـــل إبراهيم، دار المعرفة – بيروت، 1391هـ.

[4]. التحرير والتنوير (تحرير المعنى الســـديد وتنوير العقل الجديد من تفســـير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـــ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.

[5]. التناسب في سورة البقرة: رسالة ماجستير، عمادة للدراســـات العليا/ جامعة القدس، 1428هـ ـ 2007م.

[6]. جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر الطبري (ت 310هـــــــ)، تح. أحمد محمد شاكر، ط1، 1420 هـ – 2000 م.

[7]. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (ت 671 هـــ)، هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض،1423 هـ/ 2003 م.

[8]. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: شهاب الدين الخفاجي (ت 1069هـــ)، دار صادر – بيروت.

[9]. دلائل النظام: الفراهي، للدار الحميدية ـ الهند، 1388هـ.

[10]. روح المعاني في تفســـير القرآن العظيم والســـبع المثاني: محمود شـــكري الآلوســـي (المتوفى: 1342هـــــــ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[11]. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: الخطيب الشـربيني (ت 977هـــــــ)، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، 1285 هـ.

[12]. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت 1385هـ)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط17، 1412 هـ.

[13]. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم الزمخشري، (ت 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1407 هـ.

[14]. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ)، تح. د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

[15]. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير: الرازي (ت606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت

[16]. ط3 – 1420 هـ.

[17]. المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها، دراسة تطبيقية لسورة الشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف: محمد كمال سالم ديب، رسالة ماجستير/ قسم التفسير وعلوم القرآن/ كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية ـ غزّة، 1432هـ ـ 2011م.

[18]. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي (ت 885هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – 1415.